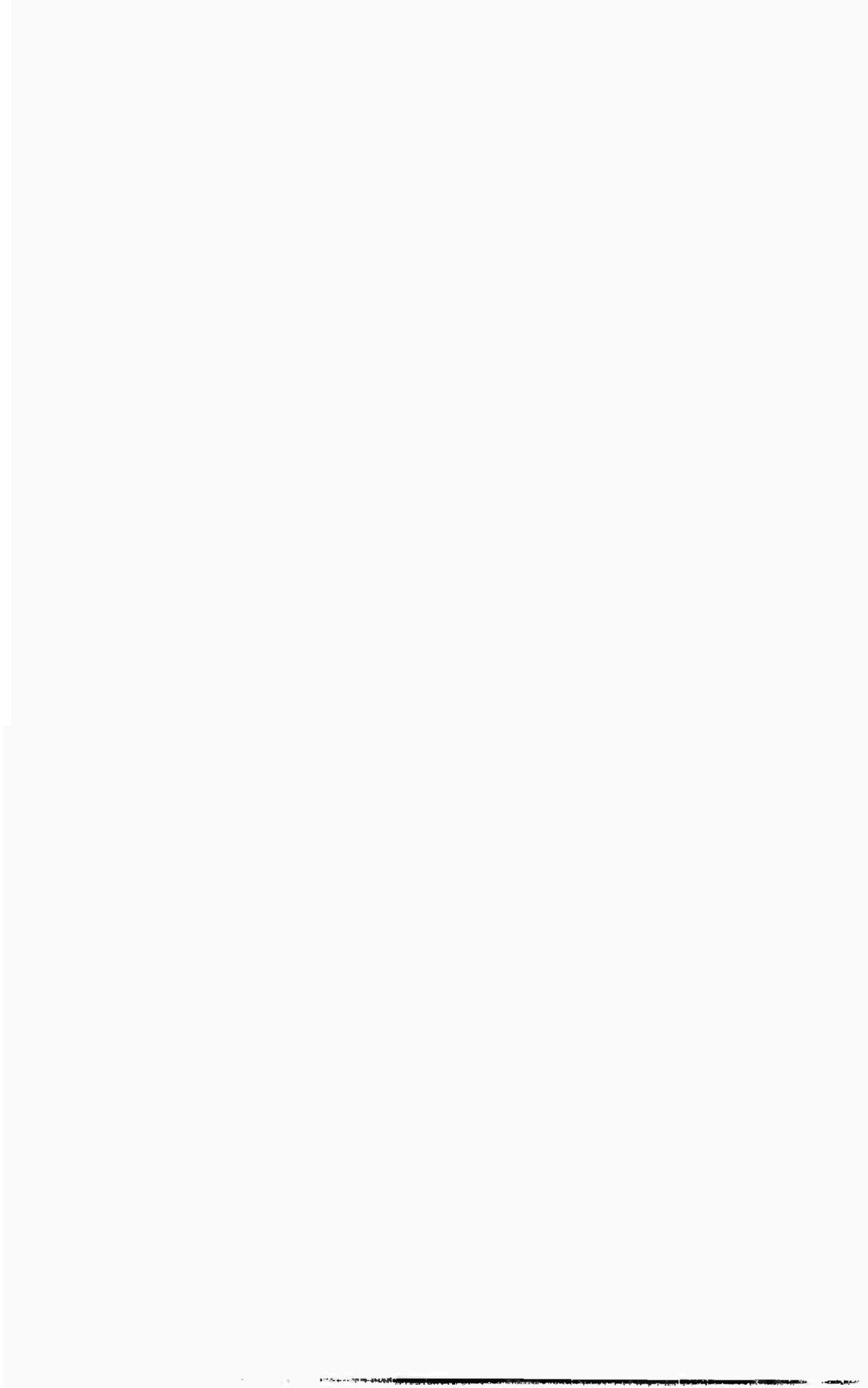


مكايح
الشطح الإبداعي



هل أخطأت السمع، أم هل أسمع صوتاً خافتاً يقول "نعم، ولكن؟" أعتقد أنني أشعر ببعض الأمخاخ تجهز الحجاج التي تبرر لماذا لا يسير الموضوع ببساطة على هذا النحو أيضاً. ما السبب في أننا نرضى بأن يحال بيننا بسهولة وبين أن نكون مبدعين ومنشئين لأفكار جديدة؟ من أو ماذا يصد على الدوام الشطاح فينا؟ هناك قائمة كاملة من الأسباب التي يستطيع علماء النفس أن يشرحوها لك بالتفصيل. وأنا هنا أريد أن أقتصر على عرض عائقين جوهريين فقط مما يعترض كل جديد في مهده دائماً، وقد تأكد لي بالدليل أن هذين العائقين إنما يعتبران بمثابة مكابح ذاتية الحركة دائمة الفاعلية وذات تأثير كبير على كبح الشطح الإبداعي:

1. البطن

2. الاعتقاد الخاطئ

قبل نحو عامين ونصف العام شد انتباهي عنوان عدد من مجلة "جيو"¹. كان الموضوع المحوري للعدد هو "المخ الثاني. كيف يتحكم البطن في الدماغ". وكان السطر الثاني من العنوان: "علماء وراء الإحساس والحدس"^{IX}. يؤكد المقال أن هناك علاقة ندية في خلايا بيولوجية مذهلة بين مخ الرأس والبطن. ويوصف المخ الداخلي الباطن بأنه "قائد السيطرة والتحكم الدقيق" وأنه "منبع مواد ذات نشاط سيكولوجي...تؤثر تأثيراً قوياً في عضو التفكير الذي فوق وفي حالتنا النفسية". وقد تبين علماء الأعصاب أن هذا المخ الثاني بالبطن كأنه نسخة من مخ الرأس، لأن هناك - فوق وتحت - نفس أنماط الخلايا بالضبط، ونفس المواد الفعالة ونفس المتلقيات.

ماذا يعني هذا؟ لقد اكتشف الأستاذ ميشائل جرشون² الأستاذ بجامعة كولومبيا بنيويورك مرة أخرى المخ الثاني بعد أن انطوى سنوات طوال في النسيان. واستنتج من هذا الاكتشاف أنه من الممكن تكوّن "عمليات نفسية متصلة بالجهاز الهضمي اتصالاً أوثق مما فكر فيه المفكرون حتى الآن". فعدد كبير من خلايا المناعة في الأمعاء التي ترتبط مباشرة بالمخ الداخلي الباطن يمكنها، مستقلة عن مخ الرأس،

IX انظر ص 136 - 162 من كتاب "Das ,zweite Gehirn" / في: Geo 11/2000.

أن تميز بين الطيب والخبيث. فعندما تصل سموم إلى الجسم تُرسل في الحال إشارات تحذير إلى العنفة الفوقية. ومن المذهل أن 90 بالمائة من الاتصالات بين المخين تتم من تحت إلى فوق، أي من البطن إلى الرأس، وأن 10 بالمائة فقط من الرأس إلى البطن. ويستنتج العلماء من تجاربهم أن هناك - بجانب إشارات التحذير مثل استثارة القيء في حالة التسمم - رسائل لاشعورية تنتقل من البطن إلى الرأس. والأستاذ إيميران ماير³ الأستاذ بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس يرى أن تطورنا نجح لأن الانفعالات، سواء منها السلبية أم الإيجابية، تسمح لنا بأن نتخذ قرارات مناسبة. وكلما زادت شدة الخبرة الانفعالية، زادت شدة الذكرى المختزنة عنها، وزادت سرعة إدراكنا أي طريق هو الصحيح.

الحدس

الباحث المتخصص في دراسات المستقبل ماتياس هورك⁴ يتناول الموضوع في رسالة المستقبل ويكتب ما يلي: "هذه المعرفة هي التي تجعل تغيير التفكير ضرورياً. فإذا كان البطن أول ما يعرف هل فكرة ما طيبة أو هل قرار ما سليم، فلا بد من أن يكون جالو المعلومات وناقلو العلم في عالم العمل المستقبلي هم أول من يتعلمون الإنصات إلى مخهم الثاني".^X ويصبح الحدس قيمة مهمة ومعترفاً بها لدى من يتخذون قرارات. هكذا يستطيعون بنفس هادئة أن يعتمدوا بطونهم، لأن البطن يؤثر في تفكيرنا وإحساساتنا وسلوكنا بشكل حاسم ونحن جميعاً لا يوجهنا رأسنا إلا على نحو أقل من فكرتنا عموماً عن أنفسنا. "أنا أتخذ قراري في هذه المسألة بطريقة مستقلة خالصة." يا إلهي، كم تنتمي هذه الجملة إلى الماضي، ولن يصدقك أحد منذ الآن عندما تقولها. ولكن هل يساعدنا ذلك في مواقف نواجه فيها وجهاً لوجه شطاحاً وأفكاره الجديدة؟ وفي لحظات نتعرض فيها لتغيير ويتملكنا خوف منه؟ وليس أخوف أساساً شيئاً سيئاً، ففي الأزمنة السحيقة دفعنا الخوف غريزياً إلى الفرار من حيوان كبير⁵ بدلاً من أن نناقش معه نتائج يمكن أن تكون قد نجمت عن عمله. ولكن الخوف في الوقت نفسه يعوق في أغلب الأحيان الجديد لأنه يشلنا ويجعلنا بالتالي عاجزين عن التصرف. كيف يستطيع رئيس إدارة أن يعمل بنشاط، وأن ينطلق محفزاً، ون يبحث عن إمكانات جديدة، وقد تملكه الخوف، وأصابه بإسهال ملاً ملابسه الداخلية إلى حافتها؟⁶

X انظر ص 12 من كتاب "Die neue Bauchkultur" مؤلفه: Matthias Horx / في: Zukunftsletter 3/2002.

الخوف

أهم سؤال في مثل هذه الحالات هو: ما هذا الذي أخشاه، ما هذا الذي أخافه؟ أنا شخصياً أخاف أشياء كثيرة، مثلاً عربات الترام التي تخترق بالعرض الشارع الذي أكون عندئذ فيه، وأخاف مشجعي كرة القدم الذين يطلقون لأنفسهم العنان، وأخاف الناس الذين يعرفون كل شيء، وأخاف التسمم من أكل السمك وغير هذا وذاك. عندما أحس ببداية التقلص في منطقة المعدة، فلا يسعفني إلا حساب أسوأ الاحتمالات والسؤال البسيط: ماذا يحدث في أسوأ الافتراضات، إذا أنا اتخذت هذا أو ذاك القرار، إذا أنا فعلت هذه أو تلك الفعلة؟

ثم أبدأ في مخيلتي أشرس السيناريوهات، وأتمثل نفسي في الموقف، وأسأل نفسي هل سأجد حلاً للمستتبعات. نأخذ مثلاً موقفاً كلفني حيناً من الزمن أعصابي، ففي السنوات الأولى لشركتي كانت تصادفني بين الفينة والفينة لحظات تسوء فيها حالة الشركة المالية منذرة بكارثة نتيجة تقاعس عملاء عن الدفع، وقفل البنك حنفيه النقود، وعدم ظهور عمل جديد في الأفق. بالنسبة إليّ باعتباري مالكة الشركة ومديرة إدارتها كانت مثل هذه المواقف سبباً مبرراً للخوف، وكنت أحس به بكل صوره وأوجهه التي يمكن تخيلها. فكان النوم يجافيني أو لم أكن أغفو إلا قليلاً، وأصبت باضطراب في إيقاع دقات القلب، ولاحتقتني الكوابيس وشريت خمرأ أكثر مما كنت أفعل.

ولكننا، أنا وخوفي لم تكن لدينا إمكانيات كثيرة. ربما كان من الممكن أن أدع الخوف يطولني ويتملكني إلى أن يظهر لعيني وليكون في استطاعة آخرين أن يشعروا به واضحاً. ولكن أني لي أن أقابل عميلاً جديداً واعدأ بابتسامه وأعطيه في نفس الوقت انطباعاً إبداعياً يوحي بالثقة وبوجود إطار وهيكل يستند إليه؟ أو كيف أتوقع من معاوني أن يصدقوا أن كل شيء سينقلب خير منقلب، فنكون نحن أكبر الكبار، وتكون الدنيا في انتظارنا؟ حتى لو كان للخوف مبررات مشروعة، فلم يكن ليساعدني في موقفي على التقدم خطوة. بل على العكس تماماً، لم يكن الخوف يترك لي رأساً صافية تفكر بوضوح، ولم يكن يسمح لي قط بنظرة بعيدة، بل كان يعوقني عن اتخاذ قرارات بشجاعة.

سيناريوهات أسوأ الاحتمالات

في ذلك الوقت فتحت أول حساب خاص بي لأسوأ الاحتمالات، وسألت نفسي عن الأشياء الكثيرة التي من المحتمل أن تحدث. وأسوأ الاحتمالات بالنسبة إليّ يكون إعلان تفليسة الشركة، وينجم عن ذلك تحميلي بديون نحو نصف مليون (مارك ألماني في ذلك الوقت). وعلاوة على ذلك كان الجميع سيشيرون إليّ بسبابتهم قائلين: "هه يا مدام بيلتسر (اسمي آنذاك) لقد ملأت فمك بأكثر من سعته بشركتك الخاصة وبعباراتك الطنانة الرنانة من قبيل 'سأريكم جميعاً'. لقد كنت شجاعة، ولكنك كنت للأسف حمقاء كل الحمافة." وعلاوة على ما سبق كان سينجم عن ذلك أنني سأضطر للبدء من البداية مرة أخرى، وأغلب الظن على شكل وظيفة ثابتة، على الرغم من أنني كنت أعشق أن أكون صاحبة عمل. كان هذا السيناريو آنذاك بالنسبة إليّ سيناريو الرعب الذي يمثل أسوأ الاحتمالات. وكان السؤال الحاسم هو هل يمكنني أن أعيش به، أم أن مجرد تخيُّلي يفقدني عقلي.

بعد تمحيص مكثف لصورة رعبتي التي كنت أستطيع أن أشعر بتأثيرها في بدني في أصغر شعيراتي الدموية، وبعد تأمل دقيق للوضع الفعلي، لاح لي موقفي واضحاً. لم تفرغني الديون، لأنني كنت مقتنعة اقتناعاً مطلقاً بقدرتي، ووثقت في نفسي آنذاك بأنني في كل وقت وفي كل مكان يمكنني أن أكسب المبلغ بجهدِي إما مستقلة بشركتي أو موظفة. كما أن موقف الآخرين وسلوكهم تجاهي لم يكن يعني شيئاً بالنسبة لي من حيث المبدأ. صحيح أن مثل هذا التشفي لن يكون مستحسنًا، ولكنه سيكون ذا أثر جانبي مفيد هو: رسم الخط الفاصل بين الصديق وبين العدو. ولاح لي البدء من جديد قابلاً تماماً للتنفيذ - وإن ارتبطت بجهود - لأنني كنت أحمل أفكاراً جديدة كثيرة في رأسي. يضاف إلى ذلك أنني كنت مستعدة آنذاك في كل وقت للنزوح إلى مدينة أخرى أو بلد آخر لكي أبدأ بداية جديدة في مكان آخر في ظروف أخرى وبقدر أقل مما سبق.

فإذا لم يكن أسوأ سيناريو رعب بكل توابعه ومستتبعاته القبيحة، بعد تأملٍ أوثق، فظليماً إلى هذا الحد، فلماذا لم أستطع النوم؟ لماذا كنت أجتُن نفسي بنفسِي كل يوم، وأرعب نفسي كلما جاءت مكالمات تليفونية من البنك أو من موردي؟ كان في إمكانني بنفس الجهد أن أكف عن ذلك، وأن أجتذب العملاء بكل همة وأن أطور أفكاراً جديدة، وأمسك المجداف شجاعة مرة أخرى بيدي، وأنجز بخير تفكير وتديبير أشياء تتقدم بي وبالشركة إلى الأمام.

مثل هذه السيناريوهات وحسابات أسوأ الاحتمالات هي مسألة شخصية ولهذا تتخذ بالنسبة إلى كل شخص ينشغل بها أشكالاً مختلفة. بالنسبة إلى الزملاء أو الرفقاء مثلاً، الذين يقفون مواقف شبيهة، فإنهم من الممكن أن يحسبوا حساب أسوأ الاحتمالات ولكن ذلك يتخذ شكلاً مختلفاً تماماً في حالتهم. فمن الممكن أن يكون مبلغ الديون حملاً ثقيلاً لا يمكنهم ولا يريدون أن يعيشوا تحت وطأته. وربما أدى ذلك إلى تصفية الشركة وإلى العودة إلى الهياكل والبنى الأكثر أماناً. وبالنسبة إلى غيرهم ربما كان عار الفشل فوق الطاقة، لأنهم لا يحتملون أن يشير أحدهم إليهم بالبنان ويوجه إليهم كلمات التشفي أو ربما المواساة عن حسن نية. ربما كان سفرًا بالطائرة إلى أمريكا الجنوبية في هذه الحالة بديلاً أصيلاً من أجل بدء حياة جديدة.

في مواقف من هذا القبيل يصبح الإنسان في أغلب الأحيان وحيداً شديد الوحدة، فلا يمكن مثلاً لشخص ما يمر بمصادفة بناصية الشارع ويكون في وضع يمكن مقارنته بوضعي، وبهذا يمكن اعتباره مشاركاً كفوئاً في الحديث معي. وكذلك مستتبعات سيناريو أسوأ الحالات لا بد من أن يحمل عبئها على أية حال المتسبب نفسه، ولا يمكن إلا فيما ندر أن يقدم شخص ثالث عوناً خالصاً. وينطبق هذا للأسف أيضاً... وربما على نحو خاص... على الأشخاص الذين يحسنون الظن بنا، مثل رفقاء الحياة أو الإخوة والأخوات أو الوالدين. وقوة الخوف لديهم في الظروف العادية السوية يختلف موضعها عن موضع قوة الخوف لدينا. وعلينا في مثل هذه الحالة أن ننصت إلى ما في داخلنا، وأن نزن المستتبعات، وأن نكون صادقين مع أنفسنا. والخير في ذلك هو أن الشخص الذي يضع مثل هذه الحسابات ويعيش المستتبعات مسبقاً على مستوى التفكير، تتاح له فرصة عظيمة للتحكم في خوفه وللعثور على حلول جديدة مقبولة شخصياً ومختارة ذاتياً. بتعبير إيميران ماير: "أن تندفع الأحاسيس القوية جداً إلى الوعي شيء له معنى بيولوجي. كلما أحسنَ الناس حفظ الخوف في الذاكرة، حسنت قدرتهم على اتخاذ القرار في المرة التالية."

منذ تأسيس شركتي مثلت الكثير من سيناريوهات أسوأ الحالات، وما زلت أفعل ذلك بانتظام في مجال حياتي الشخصية لكي أزيح خوفاً وأتحكم فيه. أما ما يذهلني في أثناء ذلك دائماً من جديد المرة تلو المرة فهو أن المستتبعات التي تتأتى في

غالبية حسابات أسوأ الحالات لا تكون على الدرجة المتخيلة من الفضاءة وأن الكثير من المخاوف عند التأمل الوثيق يتبين أنها نسبياً بلا ضرر. وليس من النادر أننا نخاف من أشياء عادية ومن مشكلات زائفة مضخمة مهوَّلة، مستتبعاتها بالنسبة إلينا يمكن تحملها في كل حين.

أما المكبح الثاني للشطّاحين، مكبح الحصار المطلق على الشجاعة في وجه تنفيذ الأفكار الجديدة، فهي توهم البعض أن الشطح الإبداعي يرتهن حتماً على نحو ما بملكة أو بربيات أسطوريات يقبلن الشخص، أو بومضات قريحة ترسلها السماء أو بموهبة صوفية فذة يوهبها المختارون خاصة. ربما كان السبب في ذلك توقيرنا للعباقرة الأفاضل الذين حلّقوا أعلى من الآخرين والذين دخلوا التاريخ فعلاً بإنجازاتهم الفائقة. وقد يكمن السبب أيضاً في خوفنا الذاتي من أن نكون هدفاً للمستهزئين ومن أن نحط إلى مستوى العاديين، إذا ما حاولنا أن نسير على درب هؤلاء العباقرة وأن نشطح بـورنا شطحاً إبداعياً.

ويعتبر العالم دين كيث سيمونتون⁷ بعد ما أجراه من دراسات عديدة أنه أصبح من الثابت بالبرهان أن الابتكار لا ينشأ إلا من خلال العمل. وقد أثبت ببحوثه التي استمرت السنوات الطوال أن العباقرة مثل بابلو بيكاسو⁸ أو ليوناردو دا فينتشي⁹ أو عالم الفيزياء ريتشارد فاينمن¹⁰ لم يبلغوا في القدرة على إصابة الهدف درجة أعلى من زملائهم أبناء مهنتهم. كل ما في الأمر أنهم كانوا بكل بساطة أغزر إنتاجاً وأنهم استطاعوا على هذا النحو أن يحققوا نجاحاً أوفر وأن يحققوا أيضاً فشلاً^{XI}. ويكتب الأستاذ روبرت أي. سيوتن¹¹ أستاذ الإدارة بجامعة ستانفورد في كاليفورنيا ما يلي: "في كل فرع مهني درسه سيمونتون، من الفنانين والأدباء إلى المخترعين والعلماء، نفس النتيجة: الابتكار يعتمد على كمية العمل المنجز.^{XII}" وقالتر سيمون¹² يقول في كتابه "الرغبة في الجديد": "من أمسى مشهوراً، كان نهراً قد كد واجتهد."^{XIII}

XI انظر ص 9 . 17 من كتاب "Der Kreativität den Boden bereiten" لمؤلفه: Robert I. Sutton / في: Harvard Businessmanager 2/2002.

XII نفس المرجع.

XIII انظر ص 63 من كتاب "Lust aufs Neue" لمؤلفه: Simon, Walter / دار نشر: Gabal Verlag 1999.

إن ما يميز العباقرة الناجحين المشهورين، وما جعلهم معروفين، وما سبَّحهم علينا نحن اللامعاريون، فذلك أمر لا يزال يثير الشغف. الشيء الجدير بالاهتمام هو، فيما أرى، أن نعرف أي طرق ملتوية كان على غالبيتهم أن يسلكوها، وكم من الغرماء وقفوا ضدهم وجعلوا بآرائهم المتصلبة واعتراضهم الدائم حياتهم عسيرة، وبأي جهد جهيد عملوا من أجل نجاحاتهم، وكم من ألوان الفشل تحتم عليهم أن يصبروا عليها. وإذا نحن تجاسرنا ذات مرة على إلقاء نظرة وراء الكواليس، فربما تلونت بالنسبية بعض تقديراتنا، وبعيداً عني بعداً مطلقاً أن أهون من شأن منجزات أنجزت. إنما أريد أن أخفف شيئاً من توقيير¹³ ... الكلمة في حد ذاتها توحى بالخوف ... أريد أن أخفف شيئاً من توقيير شخصيات معروفة وأن أكتفم شيئاً من سنا هالة التبجيل الذي يحيط بهؤلاء العباقرة وينيرها نوراً باهراً يخطف بصرنا فلا نجرؤ على نظرة ثانية.

كثير من هؤلاء الأبطال كانوا في حياتهم يوصمون بأنهم مخرفون وتعارضيون متشغبون، اصطدموا بقواعد علمية ودينية واجتماعية. وتبين بالتأمل الدقيق أنهم إذن بشر رأوا أنفسهم يواجهون مشكلات شبيهة بتلك التي يواجهها شطّاحون في أيامنا هذه. فلا ينبغي لهذا السبب أن نغالي في تقديس أجدادنا الشطّاحين وتحويلهم إلى إيقونات لا يليق بنا أن نباريهم. أما إذا اعتبرناهم إخوة وأخوات في الفكر وحلفاء ورواداً وأقداء¹⁴ عظاماً نقتدي بهم ويدلوننا على السبيل ويثون فينا كل يوم من جديد الشجاعة على الشطح.

ومن المؤلفين، أمثال دانييل جوليمن¹⁵ أو هوارد جاردرنر¹⁶ أو ميهالي سيكسنتميهالي¹⁷، من عكفوا على دراسة تفصيلية لبعض العباقرة وعرفوا استناداً إلى ظواهر استثنائية مثل ألبرت أينشتاين أو سيجموند فرويد قواعد الابتكار. هم يؤمنون إلى حد ما بقدرتهم الفريدة في نوعها، ويؤمنون بالملكة والموهبة، ويزدرون الشطحات للامعاريون على اعتبار أنها محاولات العاجزين. مما لا شك فيه أن هؤلاء المؤلفين النابهين لا يخطئون بتأملاتهم المنحازة للماضي. ولكنني أستطيع تماماً أن أتصور أن الشروط الإطارية للعباقرة واللامعاريين، وكذلك المتطلبات في التواجد معاً في الحياة اليومية في السنوات الماضية تغيرت تغيراً شديداً، وهو ما يعني بالتالي القبول باستنتاجات أخرى. وأنا علاوة على ذلك أفترض أن هذا الإيمان أو بتعبير أفضل هذا الإيمان بالخزعبلات الذي يتوهم أن الجديد لا ينشأ إلا في خلايا مخ عباقرة مختارين قد يرجع إلى أسباب ساذجة كل السذاجة. فمن الممكن أن يكون من يؤمنون بهذا عن طيب خاطر أناساً أسرفوا في الكسل ولم تعد لديهم رغبة في أن يبذلوا كل الجهد لابتكار أفكار وإبداع الجديد. أو قد يكونوا أناساً لا يريدون أن يشغلوا أنفسهم بمواد لاصقة وألوان وورق أو غير ذلك من أدوات الممارسة اليدوية المتفرقة غير المحترفة،

ظناً منهم أنهم قد يجعلون أنفسهم هزأة أو قد يفقدون السيطرة. فهم من ناحية المبدأ ليس لديهم اهتمام بما يمكن أن يخرج من داخلهم إلى الخارج. أناساً يقولون جملاً مثل: "هذا ما لا يصح بالفعل أن نفعله على أية حال، فكفوا عن الكلام معنا في هذا الموضوع، فما درسنا في الجامعة من أجل هذا، من أجل أن نسلك سلوك الأطفال، لا، لا يصح هذا فعلاً."

في طفولتنا كانت ابتكاريئنا كبيرة كل الكبر لأننا في تلك المرحلة من نموّنا لم نكن نخاف من أن نلعب. الأطفال يجربون ويخطئون ويجمعون في أثناء ذلك خبراتهم. وهم لا يخترعون قواعد إلا نادراً قبل أن يشرعوا في اللعب، بل يشرعون بكل بساطة ويدعون الدوافع تدفعهم. والبالغون هم في أغلب الأحوال من يراعون النظام في الملعب ومن يعطون كل شيء بثينة: "هكذا، يا بول¹⁸، عليك أن تجلس الآن إلى اليسار، وأن تأخذ الجاروف الأخضر. وأنت يا نينا¹⁹ اذهبي هناك، يمكنك أن تضعي الرمل في الدلو الأصفر وأن تعطيه لبول. ولكن لا توسخي نفسك، امسحي يديك أولاً، والآن يمكنك أن تجري، هه" وليس هناك علاوة على ذلك في هذه المرحلة المبكرة من الحياة تقييم ونقد للمناورة، فما من أم عاقلة، وأب عاقل يخطر بباله أن ينادي على طفله ويخبره بتقييمه له عن لعب اليوم في صندوق الرمل بأسلوب "الفيدباك": "أنت اليوم تلعب لعباً رديئاً. والأرجح أنك تستطيع أن تضع الرمل بالجاروف في دلوك، أسرع، وأرجوك ألا تتهاون." والنتيجة بالنسبة إلى الأطفال عظيمة: إنهم يتعلمون في أثناء اللعب ويجمعون



كل يوم كمية مذهلة من الانطباعات الجديدة، يستطيعون أن يصيغوها في هدوء، ويخطون في التعلم خطوات هائلة، ويستطيعون عن طريق التجربة والخطأ تحقيق النجاحات، ويتصدون بشجاعة مراراً وتكراراً من جديد لما يستهدفهم من تحديات، ويبتكرون حلولاً، ويمرحون في أثناء ذلك كثيراً.



وإذا أنت ركزت يوماً كاملاً على الأسئلة التي يلقيها طفلك، وعددتها، وقمت بالتوازي بملاحظة أحد البالغين تختاره كما تشاء، وعددت الأسئلة التي يصوغها في اليوم الواحد، وصلت إلى نتيجة مفرجة. الطفل يسأل بين 100 و150 سؤالاً يومياً، والبالغ بين 10 و15. من أين يأتي هذا الفرق؟ هل يعرف البالغون كل شيء يا ترى، أم هل يهتمون بموضوعات أقل، أم هل لا يدركون مما حولهم بكل بساطة ما يكفي لتبرير سؤال؟

كثيراً منا فقدوا ما كانوا أوثوه من الإفادة من

الابتكار الطفولي، وحدث ذلك نتيجة عملية أسميناها عموماً تربية، وكان الأصوب أن نسميها اقتلاع انتزاع التربية. هذه العملية قوية التأثير جداً - فهي تؤدي إلى نجاحات مذهشة، فعلى مدى أعوام يتحول أطفال المعيون كشافون إلى البالغين فقراء في الإدراك ظاهرهم أنهم شطار. ولقد نصبت منظومة المدارس عندنا في بعض المجالات مرشحات دقيقة تحول حياة الأطفال الشطّاحين إلى عنت وعناء. فإذا أسئلتهم نقل، وإذا خيالهم يقاد إلى دروب مرتبة. ولا بد من أن يفعل الوالدان شيئاً وأن يغامروا من أجل أن يعثروا على بشر وبيئات، تعتبر التربية عملية تشجيع لا منهاج تغيير موجه إلى هدف مرسوم.

ولكن على الرغم من وطأة التربية لا يزال أغلبنا يملكون الابتكار الأطفالي. ربما يكون مغطى بشيء من الردم، أو يكون من الصعب فقط الوصول إليه، ولكنه كامن فينا لكي يكتشف من جديد في أي وقت وثبت فيه الحياة مرة أخرى. في كل واحد منا يكمن شطّاح وكمّ بلا حدود من القدرة على أفكار جديدة. والشطّاح الإبداعي - كما بسطنا من قبل - لا شأن له بالموهبة وربات الأساطير وومضات الفكر إلا في أقل الحالات. الشطّاح الإبداعي عملية فعلية ترتبط بنجاح وفشل ومن الممكن تعلمها مثل لغة أجنبية أو حرفة يدوية. كل ما تحتاجه من أجل ذلك:



85 في كل منا شطّاح كامن

1. محيط العمل الصحيح.
2. شطّاحون مشاركون وحلفاء.
3. وقت كاف.
4. تقنيات وأدوات.
5. إقدام وموقف سليم من الأخطاء.

- 1 GEO مجلة علمية شهرية، صدر أول عدد منها في ألمانيا عام 1976 ومنذ ذلك الحين ظهرت في عدد من الدول مثل أسبانيا وكوريا واليابان واليونان وفرنلندا وفرنسا.
- 2 Michael Gershon مؤلف كتاب "The Second Brain".
- 3 Emeran Mayer
- 4 Matthias Horx كاتب ألماني ومتخصص في علم المستقبليات.
- 5 "حيوان كبير" تعني أيضاً "رجل مهم"، وفي الجملة مسحة فكاهة للتلاعب بالألفاظ والمعاني.
- 6 تستخدم الكاتبة أحياناً هذه التعبيرات الطريفة الجريئة.
- 7 Dean Keith Simonton
- 8 "Pablo Picasso" هو "Pablo Ruiz" فنان تشكيلي ورسام ونحات إسباني.
- 9 Leonardo da Vinci رسام ونحات ومعماري وعالم وهو من أشهر فناني النهضة الإيطالية.
- 10 Richard Feynman فيزيائي أمريكي شهير. قام بتطوير نظرية الكم اللوني و تنبأ مبكراً بعصر النانوتكنولوجيا.
- 11 Robert I. Sutton Robert I. Sutton أستاذ في علم الإدارة والهندسة بجامعة ستانفورد.
- 12 Walter Simon عالم بالحضارة الصينية إنجليزية الجنسية.
- 13 الكلمة الألمانية Ehrfurcht مركبة، تتكون من لفظين، أحدها Ehre, chren يعني الشرف والتشريف والثاني Furcht يعني الخوف والرهبه.
- 14 جمع قدوة.
- 15 Daniel Goleman عالم نفس أمريكي الجنسية.
- 16 Howard Gardner عالم نفس أمريكي، واضع نظرية "الذكاء المتعدد" ومحاضر بجامعة هارفرد الأمريكية ومؤلف العديد من الكتب التربوية.
- 17 Mihaly Csikszentmihalyi عالم نفس مجري، مكتشف ظاهرة التدفق في التركيز "flow in".
- 18 .Paul
- 19 .Nina